


# مختصر المشوق إلى القراءة وطلب العلم

تَأليفُ
علي بن محمد العمران

اعتَنَى به
أَحمَدُ بنُ مُبَارَكَ الشايقي
@ahmadd_1001

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، اللَّهم صلِّ وسلم عليه ، وبعد :

فهذا مختصرٌ من كتابِ "**المشوِّق إلى القراءة وطلب العلم**" على نحوٍ مقتضب يُحفِّز القارئَ إلى التطَّلع إلى ما وراء ذلك من الأخبار المأثورة عن القوم الماضين ، والاطِّلاع على شيءٍ مما كانوا عليه من الهمم السامقة، فيه نظْرةٌ كُليّةٌ للكتاب ، وعرضٌ لمهمّاتِ الجُمل في كُلِّ فصلٍ وباب، والكتاب كما ذكرَ راقمه في المقدِّمة :

**«يبيِّن هذا الكتاب بوضوحٍ وجَلاءٍ صورةً صادقةً من صور حبّ العلماء للكتب وشغفهم بها، قراءةً وإقراءً وتحصيلاً، عبر نماذجَ فريدةٍ وصورٍ عجيبة، مُلتقطةٍ مِن سِيَرِهم وتراجمهم.**

ولم آلُ جهدًا في النظر في كتب السير والتراجم والطبقات، على اختلاف العصور والفنون والمذاهب، لاستخراج المادة وسَلْكِها في فصولٍ مترابطة متكاتفة، ترمي إلى ما ذكرناه آنفًا من حبهم للعلم وشغفهم به. **ويأتي هذا الكتاب وغيره من الكتب التي تخدم هذا الغرض، في هذه الآونة**، التي انصرف جمهورُ الناس فيها عن العلم والتعلُّق بأسبابه، سواءً بِمُلهياتٍ يظنونها علمًا، أو بشُبهاتٍ وشهواتٍ صارفةٍ عن العلم وما أكثرها!!

**والأمل في هذا الكتاب وأشباهه أن يكبح جماح أولئك المنصرفين، ويردهم إلى جادَّة الطريق، فنرجو أن يتحقق ذلك كله أو بعضه.»**

**وقد قسَّم المؤلف الكتاب إلى ثمانية فصول، وتحت كل فصلٍ أمثلةٌ وتنبيهاتٌ وإشارات :**

**الفصل الأول**: في الحثِّ على الازدياد من العلم والتبحُّر فيه

**الفصل الثاني**: الاستزادة من العلم حتى في ساعة الاحتضار

**الفصل الثالث**: حرصُ العُلماء وشغفهم بالكتب، قراءةً وتحصيلًا

**الفصل الرابع**: في قراءةِ المُطَوَّلات في مجالسَ معدودات

**الفصل الخامس**: في تَكْرار قراءة الكتاب الواحد المرات الكثيرة

**الفصل السادس**: في تَدريس الكتاب الواحد المرات الكثيرة

**الفصل السابع**: في نَسْخ الكتب وما تحملوه في ذلك

**الفصل الثامن**: إيقاظاتٌ وتنبيهاتٌ

وقد كانت لي رغبةٌ سابقةٌ في قراءةِ الكتاب، إلا أنَّ التسويف منع عملي من الصرف!، وأتت مناسبةٌ سانحةٌ لقراءة الكتاب، والإفادة منه بإعدادِ مختصرٍ له؛ ترغيبًا للمتعجِّل في اكتناز أصله، وتذكرةً للمنتهي بعد قراءته وجرده، وهذا أوانُ الشروع في المقصود، ومِنَ الله العونُ والتوفيق، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

# الفصل الأول

# في الحثِّ على الازدياد من العلم والتبحر فيه

## (١) أمرُ النبي – ﷺ – بطلب الزيادة من العلم

جاءَ الأمرُ القرآني ، لتأكيد القضيّة والحثِّ على طلب المزيدِ من العلم، فقال الله تعالى-: ﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه/ ١١٤] .

**قال ابن القيم –رحمه الله–: "وكفى بهذا شرفًا للعلم، أن أمرَ نبيَّه أن يسأله المزيدَ منه"**

## (٢) خبر نبيِّ الله موسى – ﷺ – في طلب الزيادة منه

في الصحيحين أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «بينما موسى في ملأٍ من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال: **هل تعلمُ أحدًا أعلم منك؟** قال موسى: لا. فأوحى الله إلى موسى: **بلى**، عَبْدنا خَضِر ، **فسألَ موسى السَّبيلَ إليه** ... » الحديث.

## (٣) شيءٌ من حال الصحابة في الازدياد منه

كان عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– إذا تلا قولَه تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾قال: «اللهم زِدْني عِلْمًا وإيمانًا ويقينًا»

## (٤) شيء مما جاء عن السَّلف

وهذا جابر بن عبد الله الأنصاري -رضي الله عنهما- يرحل من المدينة النبوية إلى مصر -مَسِيرة شهر على البعير- من أجل سماع حديثٍ واحد، خاف أن يموتَ ولم يَسْمَعْه. [الأدب المفرد]

## (٥) علماء يعرفون علومًا لا يعرفها أهل عصرهم

كان ابن الخشَّاب النحوي الحنبلي ت (٥٦٧) يقول: «إني متقنٌ في ثمانية علوم، ما يسألني أحدٌ عن علم منها، ولا أجد لها أهلاً!!».

[الذيل على طبقات الحنابلة]

## (٦) لا قناعة في العلم وفائدة ذلك

قال الماوردي في |أدب الدنيا والدين| -وهو يرشد الطالب-: «**ولا يَقْنَع من العلم بما أدرك، لأن القناعة فيه زهدٌ، والزُّهد فيه تركٌ، والتركُ له جهلٌ!**».

## الفصل الثاني

## في الاستزادة من العلم حتى في ساعة الاحتضار

وقد ذكر روايات لكثيرين نكتفي منها بواحدة ، وهي خبر ابن جرير الطبري (٣١٠) :

قال المعافى النَّهْرَواني في «الجليس الصالح» :«وحكى لي بعض بني الفرات، عن رجلٍ منهم أو من غيرهم: أنه كان بحضرة أبي جعفر الطبري -رحمه الله- قبل موته، وتوفي بعد ساعة أو أقلّ منها، فذُكِرَ له هذا الدعاء - وهو قوله: «يا سابق الفوت، ويا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحمًا بعد الموت ... » ثم يدعو بمسألته، فاستدعى محبرةً وصحيفةً فكتبها، فقيل له: أفي هذه الحال؟! فقال: **ينبغي للإنسان أن لا يدع اقتباس العلمِ حتى يموت**)) - و لما سُئِلَ الإمام أحمد: إلى متى تطلب العلم؟ قال: **مع المحبرة إلى المقبرة.**

# الفصل الثالث

# حِرْص العلماء وشغفهم بالكتب، قراءةً وتحصيلاً

لقد أبدى العلماء وأعادوا في بيان قيمة كتب العلم، وعظيم أثرها، وجلالة موقعها، ولهم في ذلك عبارات مشهورة نثرًا وشعرًا، نجد كثيرًا منها في مقدمة كتاب "الحيوان" للجاحظ، وفي ثنايا كتبه، وفي تقييد العلم، و الجامع للخطيب، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، وفي مطاوي كتب أدب الطلب وكتب التراجم والسير ومقدِّمات المصنفات التي تتحدث عن (خزائن الكتب) فلا نُعيد ما قالوه، فهو مبتذلٌ في مظانِّه، إلا أني لم أشأْ إخلاء هذا الكتاب من لُمَعٍ منه (وهو مَظِنَّة ذلك) ، **فاخترتُ بضع كلماتٍ أُراها من أحسنِ ما قيل:**

وقائلةٍ أنفقتَ في الكُتْبِ ما حَوَت ... يمينُك من مالٍ فقلتُ: دعيني

لعلِّي أرى فيها كتابًا يَدُلُّني ... لأخْذِ كتابي آمِنًا بيميني

## * ولع ابن دُرَيْد (٣٢١) بالعلم والكتب

قال أبو نصر الميكالي : تذاكرنا المتنزهات يومًا وابن دُرَيْد حاضر، فقال بعضُهم: أنزه الأماكن غُوطة دمشق. وقال آخرون: بل نهر الأُبلَّة. وقال آخرون: بل سُغْد سمرقند. وقال بعضُهم: نهروان بغداد. وقال بعضُهم: شِعب بوَّان. وقال بعضُهم: نوبهار بلخ.

فقال (أي ابن دريد) : هذه منتزهات العيون فأين أنتم عن متنزهات القلوب؟ قلنا: وما هي يا أبا بكر؟ قال: عيون الأخبار للقتبي، و الزهرة لابن داوود، و قلق المشتاق لابن أبي طاه.

*** ولع شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨) بالمطالعة، وشغفه بالبحث**

قال الحافظ ابن عبد الهادي (٧٤٤) -تلميذه- في مختصر طبقات علماء الحديث -: **"لا تكاد نفسُه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تملُّ من الاشتغال، ولا تكلُّ من البحث، وقَلَّ أن يدخل في علمٍ من العلوم في بابٍ من أبوابه إلا ويُفتح له...**"

*** قراءة ابن الجوزي (٥٩٧) (٢٠ ألف) مجلدًا وهو بَعْدُ في الطلب.**

*** حرص ابن عقيل (٥١٣) على الوقت وشغله بالمطالعة والعلم.**

*** ونقلَ ابنُ رجب من الفنون لابن عقيل أنه قال عن نفسِه:** "أنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سفَّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفّرًا على مطالعةٍ، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه" اهـ.

*** أُعجوبة في حفظ الوقت والتوفُّر على المطالعة**

قال الحافظ السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة أحمد بن سليمان بن نَصْر الله البُلْقاسي ثم القاهري الشافعي المتوفى سنة (٨٥٢) في ريعان شبابه : "وكان إمامًا علاَّمة قوي الحافظةِ حسنَ الفاهمة، مُشاركًا في فنونٍ، طلْقَ اللسان، محبًّا في العلم والمذاكرة والمباحثة، غير مُنفك عن التحصيل، بحيث إنه كان يُطالع في مشيه، ويقرئ القراءات في حال أكله خوفًا من ضياع وقته في غيره، أُعجوبة في هذا المعنى، لا أعلمُ في وقته من يُوازيه فيه، طارحًا للتكلُّف، كثير التواضع مع الفقراء، سهمًا على غيرهم، سريع القراءة جدًّا" اهـ.

## * صور من العصر الحديث

* **الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي (١٣٣٢)** يقول عن نفسه وهو يتكلم على علوّ الهِمَّة في كتابه: [الفضل المبين] : "وقد اتفق لي بحمده تعالى قراءة (صحيح مسلم) بتمامه روايةً في أربعين يومًا، وقراءة (سنن ابن ماجه) كذلك في واحدٍ وعشرين يومًا، وقراءة (الموطَّأ) كذلك في تسعة عشر يومًا، وقراءة (تهذيب التهذيب) مع تصحيح سهو القلم فيه وتَحْشيته في نحو عشرة أيام. **فدع عنك أيُّها اللائم الكسلَ، واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل".**

* **الشيخ محمد بدر الدين الحسني (١٣٥٤)** العلامة المحدِّث : حَفِظ الصحيحين غيبًا بأسانيدهما، ونحو (٢٠ ألف) بيت من المتون العلمية ، كان شديد التشاغل بالعلم والعكوف على طلبه والانقطاع إليه، حتى بلغ من ذلك شيئًا عظيمًا، قال الشيخ علي الطنطاوي –رحمه الله– «بل كان يجلس في الليل ليقرأ، فإذا غلبه النُّعاس اتكأ برأسه على وسائد أُعِدت له، فأغفى ساعتين أو ثلاثًا من الليل متقطعات، ومن النهار ساعة» .

* **ومثالٌ حيٌّ كان بين أظهرنا لشهور مضت هو الأديب البليغ صاحب القلم الأنيق والعبارة الرشيقة الشيخ علي الطنطاوي (١٤٢٠)** –رحمه الله تعالى– له مقال في (الذكريات) عنوانه (شغلي الدائم المطالعة) ذكر فيه ولعه الدائم بالمطالعة من صغره وهو في المدرسة الابتدائية بدون إرشاد مُرْشِد ولا تعليم مُعَلِّم ثم قال: "فأنا اليوم، وأنا بالأمس، كما كنت في الصغر، أمضي يومي أكثره في الدار أقرأ، وربما مرّ عليَّ يوم أقرأ فيه ثلاثمئة صفحة، ومعدَّل قراءتي مئة صفحة من سنة (١٣٤٠) إلى هذه السنة (١٤٠٢) اثنان وستون سنة. احسبوا كم يومًا فيها، واضربوها بمئة، تعرفوا كم صفحة قرأت. أقرأ في كل موضوع، حتى في الموضوعات العلمية ... " .

# الفصل الرابع: في قراءة المطوَّلات في مجالسَ معدودات

كان من عادة العلماء عَقْد مجالس لقراءة المطوَّلات على اختلاف الفنون (خاصة كتب الحديث المسندة) ، فكان الناسُ يأخذونها عن مؤلِّفيها أو عمن اتصلت بهم روايتها، بالسَّماع لجميعها تارة، أو بسماع شيءٍ منها، والإجازة بباقيها، أو بالإجازة لجميعها، وتناقصَ عقدُ تلك المجالسِ وإسماعِ المطوَّلات طرْدًا مع تأخُّر الزمن (لعوامل كثيرة) وانْحَسَرَت نوعية الكتب المقروءة في كتب الحديث، خاصَّة المشهورة منها، أو لكتب بعض مشاهير المؤلِّفين. وهذه المجالس قد تطُوْل وقد تَقْصُر بحسب الغرض من القراءة وتفرُّغ الشيخ، واستعداد الطالب، وموضوع الكتاب ، ولا شكَّ أنَّ قراءة هذه المطوَّلات في مجالسَ معدودة يتطلَّبُ عددًا مِنَ الصفاتِ في الشيخِ والطالب، مِنَ الخبرة بالكتاب المقروء، وشِدَّة التيَقُّظ، وفصاحة اللسان، وسرعة القراءة، وقبل ذلك وبعده = الرغبة الأكيدة، والهمة العالية، والصبر الجميل. فمن تحلّى بذلك كلِّه؛ لانَ له الحديدُ وسَهُل عليه الصعبُ، «**فإن العزيمةَ والمحبةَ تُذْهِبُ المشقةَ، وتُطِيبُ السيرَ**» وهذا سَرْد ما وقفنا عليه من ذلك : **[ذكرتها مختصرة ]**

| م | اسم القارئ | تاريخ الوفاة | نوع القراءة ومدتها |
|---|---|---|---|
| ١ | الخطيب البغدادي | ٤٦٣ | قراءة صحيح البخاري في ثلاثة مجالس |
| ٢ | المؤْتَمن السَّاجي | ٥٠٧ | قراءة ((المحدِّث الفاصل)) في مجلس |
| ٣ | طلحة بن مظفَّر العَلْثي الحنبلي | ٥٩٣ | قراءة ((صحيح مسلم)) في ثلاثة مجالس |
| ٤ | العِزُّ بن عبد السلام | ٦٦٠ | قراءة ((نِهاية المَطْلَب)) في ثلاثة أيام. |
| ٥ | ابن الأبَّار | ٦٥٨ | * – قراءة ((مسلم)) في ستة أيام. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٦ | شيخ الإسلام ابن تيميَّة | ٧٢٨ | **– قراءة ((الغَيْلانيات)) في مجلسٍ واحد.**<br>((الغيلانيات)) هي تلك الأجزاء الأحد عشر، المسموعة لأبي طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غَيْلان (٤٤٠) من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي (٣٥٤) تخريج الحافظ أبي الحسن الدارقطني (٣٨٥) ، وهي من أجود الأحاديث وأعلاها، وعدد أحاديثها نحو ألف ومئتي حديث. |
| ٧ | الحافظ المِزِّي | ٧٤٢ | يقرأ ((المعجم الكبير)) للطبراني بحضور الحافظ البرزالي في ستين مجلسًا (١) . |
| ٨ | الحافظ شمس الدين الذهبي | ٧٤٨ | – قراءة ((سيرة ابن هشام)) في (٦) أيام. |
| ٩ | سراج الدين ابن الملقِّن | ٨٠٤ | قراءة المجلدين في الأحكام في يومٍ واحد. |
| ١٠ | سراج الدين البُلْقيني | ٨٠٥ | قراءة المجلد من كتب الفقه في يومٍ |
| ١١ | الحافظ زين الدين العِراقي | ٨٠٦ | قراءة ((مسلم)) في ستةِ مجالس |
| ١٢ | مجد الدين الفيروزآبادي | ٨١٧ | قراءة ((مسلم)) في أربعة عشر مجلسًا. |
| ١٣ | الحافظ ابن حَجَر العسقلاني | ٨٥٢ | قراءة ((المسند)) في ثلاثةٍ وخمسين مجلسًا. |
| ١٤ | الحافظ الدِّيَمِي | ٩٠٨ | قراءة ((البخاري)) في أربعة أيّام |
| ١٥ | العلاَّمة القَسْطَلاَّني | ٩٢٣ | قراءة ((البخاري)) في خمسة مجالس. |
| ١٦ | إبراهيم البِقاعي الحنبلي | ٩٣٥ | قراءة ((البخاري)) في ٦ أيام و ((مسلم)) في خمسة. |

## الفصل الخامس: في تَكْرار قراءة الكتاب الواحد المرات الكثيرة

تحدثنا فيما مضى عن شغَف العلماء بالكتب، وملازمتهم لقراءتها وإقرائها ليلهم مع نهارهم، في حِلِّهم وتَرحالهم، وهذه صورةٌ أخرى من صور الشغف والتعلُّق بالكتب، وهي الانكبابُ والعكوفُ على قراءةِ كتبٍ بعينها، فما إن ينتهي من استيفاء الكتاب قراءةً، حتى يبدأ فيه من جديد، فيقرؤه مرَّةً بعد مرَّة، فهو كالحالِّ المُرْتَحِل. وغَنِيٌّ عن الذِّكْر كم هو ثقيلٌ على النفس أن يُعيدَ المرءُ كتابًا قرأه مرةً واحدة! فكيفَ بقراءته مرَّات!!. ولذلك كان من وصايا الشيوخ: أنك إذا قرَأتَ كتابًا فلا تفكِّر في العودة إليه مرةً أُخرى، لأن هذه الشعور سيؤدِّي بك إلى التفريط في فوائد كثيرة، أملاً في استيفائها في القراءة الثانية.

وعلى كل حال، فالمسألة تعوُّد، فمن تعوَّدَ قراءةَ الكتاب الواحد مراتٍ، فَبِها، ومن لا، فليستوْفِ غرضَه من الكتاب في أول مرة، مع أن مُعَاودة مطالعة الكتاب الواحد مرَّات -خاصة مع تباعد وقت القراءة-يُوْقفك على مسائل وفوائد لم تكن لتقف عليها في أوَّل قراءتك، وذلك لتوسع مداركك وزيادة فهمك، وهذا أمر مجرَّب، وسيأتيك خبر المزني مع (الرسالة) للشافعي.

فهذا ذِكْر ما وقعَ لنا خبره من العلماء الذين عكفوا على قراءة كتبٍ معيَّنة وأُولعوا بها، حتى استظهرها بعضهم أو كاد، فمع ذلك أصبحت سميرهم وهجِّيراهم لا يُفارقون قراءتها.

| م | الفعل | الفاعل |
|---|---|---|
| ١ | قراءة ((الرسالة)) للشافعي (٥٠) سنة | الربيع ابن سليمان المزني صاحب الشافعي (٢٦٤) |
| ٢ | قراءة البخاري (٧٠٠) مرة | الإمام غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام ابن عَطيَّة المحاربي ت (٥١٨) |
| ٣ | قراءة البخاري (١٥٠) مرَّة. | سليمان بن إبراهيم بن عمر نفيس الدين العلوي اليمني ت (٨٢٥) |
| ٤ | قرأ البخاري أكثر من (٤٠) مرة. | أحمد بن عثمان بن محمد بن الكُلُوتاتي ت (٨٣٥) |
| ٥ | قرأ البخاريَّ أكثر من (١٠٠) مرة. | أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن مقبل القاهري الحنفي المعروف بالتَّاجر ت (٨٠٥) |
| ٦ | قرأ البخاري أكثر من (٦٠)، ومسلم أكثر من (٢٠) | البرهان الحلبي ت (٨٤٠) |
| ٧ | قراءة معجم الأُدباء (٨) مرات. | الشيخ العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي ت (١٣٩٨) |
| ٨ | قرأ ((المدوَّنة)) (١٠٠٠) مرة. | ابن التبَّان |
| ٩ | قراءة عددٍ من الكتب مرات عديدة | الإمام أبي بكر الأبهري ت (٣٧٥) |

## الفصل السادس: في تدريس الكتاب الواحد المرات الكثيرة

**كثيرًا ما ينتخب العالم كتابًا أو كتبًا في فنون العلم، ويُدْمن على قراءتها وإقرائها لطلابه، ويكون هو قبل ذلك قد أخذه عن شيوخه وتمرَّس فيه وخَبَرَه، بحيث لا تخفى عليه جمهور مسائله، وغالب غوامضه ومشكلاته، فيكون هو المرجع وعليه المعوَّل في حلِّ ذلك.**

بل قد يبلغ الأمر إلى أن يُلَقَّب العالم بذلك الكتاب، كما وقع للشيخ الفقيه جمال الدين أحمد بن محمد الواسطي الأُشْمُومي الشافعي ت (٧٢٩) ، فقد لُقِّب بـ (الوجيزي) لحفظه كتاب (الوجيز) وعنايته به ، كما لُقِّب الإمام الزركشي (٧٩٥) بـ (المنهاجي) نِسبةً إلى (منهاج الطالبين) للإمام النووي، لعنايته به وإتقانه له فهمًا وشرحًا.

**وقد وقع للعلماء من ذلك شيءٌ كثير، وهو دالٌّ على صَبْرِهم في نشر العلم وتعليم الناس، ودالٌّ –أيضًا– على أهمية هذه الطريقة (أعني المداومة على كتابٍ بعينه) في ترسيخ العلم، واستحضار مسائل الفنّ، وعدم تشتت الذهن، وهو مع ذلك دائم المطالعة في الفن مضيف إليه ما يحتاجه من تَذْليل وتعقيب وتنكيت وتحقيق. فإلى شيءٍ من ذلك:**

### * إقراء ((المهذَّب)) (٢٥) مرة.

ففي ترجمة الفقيه كمال الدين عمر بن عبد الرحيم ابن العَجَمي الشافعي ت (٦٤٢) : أنه ألْقَى كتاب (المهذب) للشيرازي في فقه الشافعيةِ خمسًا وعشرين مرَّة .

## * إقراء ((مسلم)) أكثر من ٦٠ مرة.

هذا الإمام الثقة عبد الغافر بن محمد الفارسي ت (٤٤٨) ، كان ملازمًا لإقراء (صحيح مسلم) فَقُرئ عليه أكثر من ستين مرَّةً، فقد قرأه عليه الحافظ الحسن بن أحمد السمرقندي نيِّفًا وثلاثين مرة، وقرأه عليه أبو سعد البَحِيري نيِّفًا وعشرين مرَّةً.

قال الحافظ الذهبي: **"هذا سِوى ما قرأه عليه المشاهير من الأئمة"**

## * أقرأَ ((المقْنِع)) (١٠٠) مرة.

قاله الحافظ ابن رجب في ترجمة الفقيه الزاهد إسماعيل الفرَّاء الحرَّاني ثم الدمشقي الحنبلي ت (٧٢٩)

## * إقراء البخاري مرات كثيرة.

ذكر السخاوي في (الضوء اللامع) في ترجمة الشيخ إبراهيم ابن محمد بن صدِّيق الحريري أنه لما جاور بمكة والمدينة، أقرأ البخاري أربع مرات بالمدينة، وبمكة أزيد من عشرين مرة.

## * إقراء ((المدوَّنة)) كل شهرين مرة.

جاء في (ترتيب المدارك) للقاضي عياض في ترجمة يحيى ابن هلال القرطبي ت (٣٦٧) : أنه كان مقصودًا في السماع، دؤوبًا عليه، لم يُرَ في المحدّثين أصبر منه على المواظبة لذلك، كان يجلس كل يومٍ لاستماع ((المدوَّنة)) من الظهر إلى الليل، **فيستوعب قراءتها كل شهرين**، تمادى على ذلك عمره.

## * إلقاء المختصرات في أقْصَر مُدَّة.

وقد كان بعضُ العلماء لمزيد اعتنائهم ببعض الكتب، وممارستهم لها يُلقونها دروسًا في أسرعِ وقتٍ وأقصرِ مُدة، مع مزيد المثابرة والجهد، فمن ذلك:

## * درَّس ((المدوَّنة)) في شهر.

ذكر القاضي عِياض في (المدارك) : في ترجمة أبي إسحاق الجبنياني –أحد الأئمة– ت (٣٦٩) أنه قال: لقد كنا نجتمع، ولقد ألقينا (المدوَّنة) في شهر، ندرس النهار ونُلْقي الليل، فما علمتُ أنا نِمْنا ذلك الشهر.

* جاء في (فهرس الفهارس) –أيضًا– في ترجمة أبي رأس المعَسْكري محمد بن أحمد بن عبد القادر الجزائري ت (١٢٣٩) : أنه كان مُتْقِنًا لجميع العلوم عارفًا بالمذاهب الأربعة، مُحقِّقًا لمذهب مالكٍ غايةً، لا سيما (مختصر خليل) ، فلَهُ فيه الملَكة التامة، بحيث يُلْقيه على طلَبته في أربعين يومًا، و (الخلاصة) في عشرة أيامٍ.

## الفصل السابـع: في نسخ الكتب وما تحمّلوه في ذلك

عاش أكثر أهل العلم في سالف الدهر وآنِفِه عِيْشةَ الكفاف، فلم يكن همهم جمع المال ولا طلب الدنيا، ورُزقوا من القناعة ما أورثهم غِنَى النفسِ، فكان أحدهم غنيًّا من غير مال، عزيزًا من غير حَمِيَّة ولا عَشِيرة، وكانت تلك المعيشة خير مُعِينٍ لهم على الانجماع في طلب العلم وعدم الالتفات إلى غيره، لأنه لا يقبل الشركة.

ولما كان حالُهم كذلك، لم يكن لهم ما يستطيعون به اقتناء ما يحتاجون إليه من كتب وأسفار، ولم يكن لديهم ما يمكن به استئجار من ينسخ، فكانوا إما أن يستعيروا الكتب أو ينسخوها بأنفسهم. هذا عدا ما يكتبونه من تآليفهم الخاصة، كما نسخ الحافظ المزِّي كتابيه الضخمين (تحفة الأشراف، وتهذيب الكمال) بيده أكثر من مرّة ، وفعل الذهبيُّ الأمرَ نفسَه في أضخم كتبه (تاريخ الإسلام، وسير النبلاء) وغيرها، وهكذا.

**وربما افتقر العالم فباع نسخته التي بخطه، كما وقع لأبي علي الجياني ، وللمزي وغير واحد. والناظر في تراجمهم وسيرهم يعلم مقدار ما بذلوه من أوقات طويلة، وجهود جبارة، وصبر جميل في نسخ الكتب الكبار، والجوامع الضخمة، التي ينوء بنسخ أقلها اليوم الطالب المُجِدّ، فإلى نماذج منها:**

١ – قال السَّهْمي في (تاريخ جرجان) : سمعتُ أبا بكر الإسماعيلي وأبا أحمد بن عدي يقولان: إسماعيل بن زيد (صاحبُ حديثٍ جوَّال) كان يكتب في ليلةٍ سبعين ورقة بخطٍّ دقيق.

٢ - وذكر ابن رجب في (الذيل على طبقات الحنابلة) في ترجمة عبد الوهاب الأنماطي الحافظ عن ابن السمعاني أنه قال عنه: «جمع الفوائد، وخرَّج التخاريج، لعله ما بقي جزءٌ مرويٌّ إلا وقد حصَّلَ نُسْخَتَه. ونسخ الكتب الكبار مثل: (الطبقات لابن سعد) ، و (تاريخ الخطيب) ، وكان متفرِّغًا للتحديث، إما أن يقرأ عليه أو ينسخ شيئًا.

٣ - وفيه -أيضًا- في ترجمة أحمد بن عبد الدائم المقدسي ت (٦٦٨) : (وكان يكتب خطًّا حسنًا، ويكتب سريعًا، فكتب ما لا يوصَف كثرة من الكتب الكبار والأجزاء المنثورة لنفسه وبالأُجرة، حتى كان يكتب في اليوم -إذا تفرَّغ- تسع كراريس أو أكثر، ويكتب -مع اشتغاله بمصالحه- الكراسين والثلاثة.

وكتبَ (الخِرَقي) في ليلة واحدة، وكتب (تاريخ الشام) لابن عساكر مرتين، و (المغني) للشيخ موفّق الدين مرَّات. وذكر أنه كتب بيده ألْفَي مُجلَّدة، وأنه لازم الكتابة أزيد من خمسين سنة اهـ.

٤ - وفي (تذكرة الحفاظ) للذهبي في ترجمة أبي عبد الله الحُمَيْدي الأندلسي ت (٤٨٨) : (قال يحيى بن البناء: كان الحُميدي من اجتهاده ينسخ بالليل في الحرّ، فكان يجلس في إجَّانة ماءٍ يتبرَّد به) اهـ.

# الفصل الثـامن: إيقاظات وتنبيهات

## الأول: ما هي العلوم التي ينبغي التبحُّر فيها؟

**أجلُّ العلوم ما قرَّبك من خالقك، وما أعانك على الوصول إلى رضاه، وهذه هي علوم الكتاب والسنة.**

**قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله -:** "فالذي يتعيَّن على المسلم الاعتناءُ به والاهتمامُ: أن يبحثَ عمَّا جاء عن الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العِلْمية. وإن كان من الأمور العَمَلية، بذلَ وُسْعَه في الاجتهاد في فِعْل ما يستطيعه من الأوامر، واجتناب ما يُنهى عنه، وتكون همته مصروفة بالكُلِّية إلى ذلك، لا إلى غيره.

وهكذا كان حالُ أصحاب النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - والتابعين لهم بإحسان في طلبِ العلم النافع من الكتاب والسنة".اهـ

## الثاني: الموازنة بين قراءة الكتب والأخذ عن الشيوخ

**أَخْذ العلم له طريقان:**

**أحدهما: طريق المشافهة**، وهو أخذه عن أهله العلماء به، وهذا هو الأصل الأصيل في تَلَقِّي العلوم، وهذه طريقة السلف، قبل تدوين الكتب وبعدها، وليس هنا مجال الحديث عن هذه الطريقة.

**الثانية: أخذه عن الكتب والمصنفات**، وهي دواوين العلم وخزائنه.

**وهاهنا يُنبَّه إلى أمور:**

١ - لابُد من الموازنة والمزاوجة بين أخذ العلم من الكتب وأخذه من العلماء، فإن العلم وإن كان موْدعًا في بطون الكتب، إلا أن مفاتِحَهُ بأيدي الرجال، كما في المقولة المشهورة .

٢ - ينبغي التمعُّن في اختيار المتن الذي يُرَاد حفظه أو درسه، ليكون مناسبًا للطَّالب من أغلب الوجوه على الأقل، حتى لا ينتقل منه إلى غيره، فإن كثرة التنقل في الكتب دليل على ملل الطالب وعدم فلاحه غالبًا.

٣ - ليحرص الطالب أشدَّ الحرص على كتب **المتقدمين والمحققين من أهل العلم**، أما المتقدمين، فواضح، وأمّا المحققين، فلا يخلو كلُّ عصر من قائم لله بحجة من أولئك العلماء المحققين وعليه، فاحذر كتبَ أهل البدع والضلالة في القديم والحديث، قال شيخ الإسلام -رحمه الله- " ... ولهذا كُرِه لمن لا يكون له نقدٌ وتمييزٌ النظرُ في الكتب التي يَكثُر فيها الكذبُ في الرواية، والضلالة في الآراء ككتب أهل البدع، وكُرِه تلقِّي العلم من القُصَّاص وأمثالهم، الذين يكثر الكذبُ في كلامهم، وإن كانوا يقولونه صِدْقًا كثيرًا".

## الثالث: التعرف على أنواع القراءة

١ – لابد أوّلاً من النظر في نوعية الكتاب المقروء، فليس كلُّ كتابٍ أستطيع أن أُطبِّق عليه قواعد القراءة السريعة.

٢ – إذا تمكّن الطالبُ من فنٍّ ما، **وأَلَمَّ بجمهور مسائله واصطلاحاته، فلا حرج عليه حينئذٍ** في قراءة ما يستجد له من كتب الفن قراءةً سريعة.

٣ – كتب التاريخ والأدب والسير والتراجم والموسوعات الضخمة، وكتب المعارف العامة= هذا الصنف من الكتب هو مادة الجَرْد، وموضوع القراءة السريعة، فيستطيع الطالب المجِد أن يأتيَ على أكثر هذه الكتب مُطالعةً، مع تدوين ما يعنّ له من فوائد ونكات ومباحث في غير مظانِّها.

## الرابع: تقييد الفوائد

إذا انخرط الطالبُ في سِلْك القُرَّاء وانضم إلى ناديهم، فلا بُدَّ له من استثمار قراءته وتوظيفها، ليجنيَ منها ما تمنَّى، ولا يضيع تعبه سدى، **ولا طريقة أنفعَ ولا أنجعَ لتحقيق ذلك من الكتابة والتقييد**. فيُقيِّد الفائدة المستجادة، والنقل العزيز، والتحرير المدَلَّل، والترتيب المبتكر، وطرائف النقول والحِكَم، ودقائق الاستنباطات، ولطائف الإشارات، والأشباه والنظائر، وغيرها.

فكلُّ نوعٍ من هذه الفوائد له في عقلِ الطالبِ الجادِّ وقَلْبه مكانه الخاصّ به اللائق بمثله، فمعرفة اقتناص الفوائد شيء، وسرعة اقتناصها والاحتفاظ بها شيء ثانٍ، ثم معرفة توظيفها ووضعها في مكانها اللائق بها شيءٌ ثالث، فإذا اجتمعت هذه الثلاثة **استكملَ الطالبُ فوائدَ القراءة وجنى ثمرتَها**.

قال الإمام النووي -وهو يرشد الطالب إلى تعليق النفائس والغرائب مما يراه في المطالعة أو يسمعه من شيخه-: "ولا يحتقرنَّ فائدةً يراها أو يسمعها في أيِّ فنٍّ كانت، بل يُبادِر إلى كتابتها، ثم يُواظب على مطالعة ما كتبه ... " اهـ.

وقال -أيضًا-: "**ولا يؤخِّر تحصيل فائدة -وإن قَلَّت- إذا تمكَّن منها،** وإنْ أمِنَ حصولها بعد ساعة، لأن للتأخيرِ آفاتٍ، ولأنه في الزمن الثاني يُحَصِّل غيرَها" اهـ.

**فهذه نصيحة غالية، ولَفْتَةٌ من إمام، فتمسَّك بها تُفْلِح.**

فهذا الإمام ابنُ حجر (حافظ عصره) فاتَه تقييدُ شيءٍ من الفوائد فتأسَّف عليه، قال تلميذه السخاوي في (الجواهر والدرر) : (أما التفسير، فكان فيه آيةٌ من آيات الله تعالى، بحيث كان يُظْهِر التأسُّفَ في إهمال تقييد ما يقع له من ذلك مما لا يكون منقولاً ...) وصدق القائل: "وكم حَسَراتٍ في بطونِ المقابرِ" .

**وأنت إذا نظرت في سِيَر العلماء، وكيف حرصهم على اغتنام الزمان وتقييد الفوائد رأيتَ عجبًا!. والله الموفق**